الوظائف السرديّة في (الرحلة الناصرية إلى الديار النورانية) لـ "أحمد بن ناصر الدرعي" مشاهد من الصحراء الجزائرية (بسكرة ،عين ماضي) مقاربة بنيويّة.

The Narrative Function in (The Nasarene Journey to the Land of Light
Ahmed bin Nasser Al-Deri
Scenes from the Algerian Sahara (Biskra, Ain Madi), a structural approach

ط/د صفاء دركي ♣

د. حمزة حماده *

تاريخ الإرسال: 2021/04/21	تاريخ القبول: 2021/05/11	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

يُعدّ الأدب الرّحلي من الروافد المهمة للأدب العربي، لما يتميّز به من خصائص فنّية، إذ يجتمع فيه على خلاف النّصوص الأدبية الأخرى، التّشويق في الحكي، والغرابة والعجائبية في الوصف، بالرّغم من أنّ معظم الرّحالة ليسوا من الأدباء المشهود لهم، مما جعل هذه الرّحلات تشتهر بين القراء، لما احتوته موضوعات الرّحلة من ظواهر الخلق والإبداع ارتفعت بها إلى عالم الأدب والخيال الفني الراقي، ممّا جعل منها مجالا ثريّا للباحثين، من أجل الوقوف عند خصائصها، وأساليبها الفنية ومواضيعها الثّريّة، والكشف عن مادّتها المعرفية المهمّة.

المؤلف المرسل: ط.د صفاء دركي derki-safa@univ-eloued.dz

* جامعة الشّهيد حمّه لخضر- الوادي / hamza.hamada@gmail.com

* مخبر انتماء الطالبة: مخبر التكامل معرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها و العلوم الاجتماعية- جامعة الوادي

والرّحلة النّاصريّة، واحدة من تلك الرّحلات الماتعة، وسنحاول من خلالها الوقوف عند استراتيجية السارد في العملية السّرديّة وما تحققه الرحلة من أدبية.

الكلمات المفتاحية: الوظائف – السّرد – الرحلة – البنية - أحمد الدرعي – استرتيجية – أدب

Abstract:

The Travel literature is one of the important tributaries of Arabic literature, Because of its artistic characteristics, It Includes in it, unlike other literary texts, The Suspense in telling, And strangeness and miraculous in description, Although most of the travelers are not known as writers, what made these trips popular among readers, Because of what the trip themes contained of the phenomena, creation and creativity, and She rose to the world of literature and artistic fiction, This made it a rich field for researchers, In order to know its characteristics, artistic styles and its rich themes And disclosure of its important material of knowledge.

The Nasarene journey is one of those interesting trips, We will try through it to stand at the narrator's strategy, In the narrative process and the literary achievements of the journey.

Key words: Narration – functions – Structure - Ahmed Al-Derai – strategy – strategy - the trip

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

مقدّمة:

يعَدُّ أدب الرحلة من أهم الألوان الأدبية التي تميز بها التراث العربي الإسلامي؛ و جاء في دائرة المعارف أنّ الرحلة تعدّ إنجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل بين المكان و المكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويتجاوب هذا الهدف و إرادة الإنسان، وحركة الحياة على الأرض، بشكل مباشر أو غير مباشر...

فالرحلة إذا هي اكتشاف للعالم والإنسان، وتسجيل دقيق لكلّ ما تراه العين وتسمعه الأذن لذا، قال أبو الحسن المسعودي:« ليس مَنْ لزم جهة وطنه، وقنع بما نما إليه من الأخبار من إقليمه،كمن قسّم عمرَهُ على قَطْعِ الأقطار، ووزّع بين أيّامه تقاذفَ الأسفار، واستخراج كلّ دقيق من معدنه وإثارة كلّ نفيس من مكمنه».

سيحاول هذا البحث الوقوف عند جزئيةٍ مهمّةٍ من هذه الرحلة، في مرحلة الذهاب وهي مشاهدات الرّحالة في (بسكرة و الأغواط)، لنطرح من خلال ذلك الإشكال الآتي: كثيرا مايطرح النقاد أسئلة عن جدوى دراسة الرحلات، وهل تحقق الرحلة المتعة الأدبية كغيرها من النّصوص؟ هل تحقق الرحلة التي بين أيدينا الأدبيّة المنشودة؟ ما الدّور الذي يقوم به السّارد؟ وماهي وظيفته؟ بماذا تتميز تقانة السّرد في هذه الرّحلة؟ وغيرها من الإشكاليات التي سيحاول هذا البحث الإجابة عنها، معتمدا في ذلك المقاربة البنائية في دراسة السّرد ووظائفه.

جمعت لنا الرحلة بين متعة الأدبِ، انطلاقا من كونها مادّة سرديّة دسمة و مشوّقة تحوي الطّريف و المدهش، وسجلاً خصبًا يحتوي على ثروة معرفيّة كثيرة، فهي مخزن للقص والظواهر والأفكار.

و الرحلة الناصرية للرحالة " أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي "، واحدة من تلك الرحلات المغربية الكثيرة كرحلة (ابن جبير، ابن رشد، الرّعيني، العبْدَري، التجيبي السبتي، ابن جابر الوادي آشي، ابن بطوطة، و العياشي...إلخ) والتي - حسب علمي- لم تحض بالدراسة الأكاديمية في الجزائر، إلا من تحقيق ودراسة قُدمت كأطروحة دكتوراه في المغرب الشقيق سنة 2005.

قدّم لنا أحمد بن محمد الناصري، معلومات كثيرة عن مشاهداته،أثناء هذه الرحلة التي انطلقت من سجلماسة إلى الحجاز بغرض أداء فريضة الحج.

وسنحاول في هذه الورقة البحثية أن تتوقف مع الرحالة في مناطق من مسارات رحلته في الجزائر، ومحاولة استنطاق مشاهداته، مركزا على دوره البارز في نشر تعاليم التصوف من خلال(مفاهيم و نظرة الشيخ والزاوية الناصرية بشكل عام للتصوف).

1. بين يدي الرحلة:

منذ أن حُققت هذه الرحلة من طرف الباحث المغربي "عبد الحفيظ ملوكي"، كأطروحة دكتوراه، نال عليها بعد ذلك جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي، صدرت الطبعة الأولى منها سنة2011م لم يتصد لها-حسب علمي- أحدٌ من المهتمين بالأدب الجغرافيى بالدراسة الأدبية، و النقدية المتفحّصة ليكشف لنا ما تترصّع بيه من جواهر حسان.

يُخبرنا محقّق الرحلة بأنّ: « بداية الرحلة النّاصريّة كانت يوم الخميس24جمادي الأولى 1121هـ /21يوليو1709م ،وتاريخ القفول تمّ يوم الخميس 6 رمضان1122هـ/19أكتوبر1710م، وقد استغرقت الرحلة في مجموعها خمسة عشر شهرا و ستة أيام »[1] . وقد توزّعت هذه المدّة الزمنية على عدّة مراحل يمكن تقسيمها كالآتي: استغرقت رحلة الذهاب وصولا إلى مكّة المكرمة ستة أشهر وسبعة أيّام، و رحلة الإياب وصولا إلى الزّاوية، استغرقت ثمانية أشهر و أربعة عشر يوما، أما مدّة مناسك الحج فدامت ثمانية أيّام، بالإضافة إلى جواره بمكةَ مدّة تسعة أيّام، أي أن الجوار مع المناسك استغرق خمسة عشر يوما. أما عن المسافة التي قطعها الركب في رحلته فهي حوالي أحد عشر ألف كلم[2].

وقد تخلل خط سير الرحلة ذهابا وإيابا، محطّاتٌ أو استراحاتٌ كثيرة للتوقف، تباينت مدّة المكوث في كل استراحة بحسب الظروف التي تتحكّم في توقف الركب، أبرزها التعب الذي ينال الراحلة وراكبها لصعوبة المسالك و بُعد المسافة، وما يتكبده المسافر من مشقة، و بخاصة إذا كانت العوامل الطبيعية غير مستقرة، ناهيك عن الوضع الأمني، لأن الطريق لا تخلو من اللصوص وقطاع الطريق، ما يؤخر تقدم الركب، كما يلعب العامل الاقتصادي دورا مهما في الاستراحة، وذلك من أجل تمكين الحجاج قضاء ما يحتاجونه في سفرهم، من بيع واستبدال للرواحل المنهكة،[3] كما كان التوقف في تلك المحطات فرصة لا تُضيَّع لتلقي العلوم المختلفة.

3- البنية السردية للرحلة الناصرية:

يُعد السفر و التّنقل أحد المصادر الأساسيّة للاطّلاع على المحيط القريب و البعيد، وفرصة للرحالة كي يستزيد من شتى أصناف المعرفة، إذ يتعرض في سفره لتجارب متنوّعة ومتعدّدة، فيدفعه كلّ ذلك إلى تدوين ما تشاهده عيناه، وما يسمعه من غيره، ولهذا نجد أن الرّحلة تتّسم بالسّمة الإخباريّة، كما تفرض الصنعة الأدبية نفسها، فيُضفِي الرحَّالة أثناء التدوين لمسات فنيّة ليعطي للرحلة مسحة جمالية فنّية. كما ينقل لنا الرّحالة تجربته أثناء الرحلة، ويظهر ذلك جليا فيما يدرجه من قصائد، و تأمّلات، وبعض الرسائل و الخطابات التوجيهية الآمرة أو النّاهية، التي يريد منها التأثير و الحث على الاستجابة بالفعل أو الترك، كما يظهر في رحلته كل ما يرى أنّه يفيد القارئ، ويضفي

الجمال الأدبي للعمل الرحلي، فهي إذا « تسلسل معرفي يقوم على الوصف و المشاهدة العينيّة و النّقل، وعبرها يقوم الرّحالة بضبط المسالك و أحوال النّاس و سياستهم، وعاداتهم وثقافتهم،لأغراض تطبيقيّة سياسيّة كانت أو اقتصادية،أو لأجل المعرفة العامّة »[4]

وانطلاقا من كون الرّحلة: « بنيةٌ متميّزة من حيث الأداء السردي »[5] فإنّنا نجد أنّ بنية السّفر هي المهيمنة عليها، إذْ هي الباعثة على الكتابة و المحفّزة على السّرد[6]، و السّرد هو: « عمليّة نقل الحادثة من صورتها الواقعيّة إلى صورة لغوية، وهو الفعل الذي تنطوي عليه السّمة الشاملة لعمليّة القص...أي ما يقوم به السّارد حين يروي الحكاية، فالسّرد يُحاول أن يُعيد تكييف الأحداث»[7]. والرحلة عمل أدبي يقوم على استرجاع أحداث حصلت في ما مضى، عن طريق التّذكر، فهي أحداثٌ ذات مرجعيّةٍ واقعيّةٍ في معظمها، وفي طيّاتها لا تخلو من وقائع تنتمي إلى عالم الخيال، وبجانبها قد نجد كثيرا من الوهم و الخرافة، فالرّحلة فسحة من الزمان و المكان و المعارف البشريّة[8]، بل تتعدّى إلى أبعد من ذلك، حيث تتميز الرّحلة: « بانفتاحها على أشكال سرديّة أخرى،كالأخبار و الحكايات و السّير»[9] تتشابك مع بعضها لتشكل لنا المتن الرّحلي،ومن هذه البنية السردية يتشكل« النّظام الذي يحكم القوانين التي توجّه أبنية الخطاب، وتُحدّد خصائصه وسماته»[10]،وبالتالي لابد من الاستعانة بالمناهج المعاصرة حتى نتبيّن أدبيّة الرحلة وانتظامها من خلال تحليل بعض عناصرها، ومن هنا يمكن القول أن الموضوعات و الأحداث التي تنطوي عليها الرحلة و بقدر أهمّيتها، ليست أهم من: « الكيفية التي أطلعنا السّارد بها على تلك الأحداث»[11] ومن هنا أيضا يستوجبُ علينا معرفة آليّة الرحلة وحركيّتها، وذلك بالكشف على مفاصلها. وبما أنّ الرّحلة نصٌّ سرديّ لغويٌّ، فإنّه يقوم على متتاليات أساسيّة من الوحدات السّردية التي تُصنّفُ إلى فئتين نظرا لوظيفتها، فالأولى أفقيّة توزيعيّة،والثانية عموديّة إدماجيّة تشتمل على كل القرائن[12]،فقد اعتاد الباحثون في مثل هذه النصوص تقسيمها إلى وحدات كبرى وصغرى ووحدات توزيعيّة،وأخرى إدماجيّة، وأُسسُ هذا التّقسيم قد تكون مبنيّة على المضمون الذي يمتدّ حتى يشمَل الإنتاجَ الأدبي كُلّه، وقدْ تكونُ أدنى من الجملة،كما عند رولان بارت[13].

سنحاول في هذا البحث، توضيح أهم الوحدات التي ترتكز عليها هذه الرحلة، لكنّها وبشكل خاص ستركّز على مرحلة الوصول إلى مدينة الأغواط وبسكرة، وسنعتمد في تقسيم وحدات الرحلة على الإقامة و الترحال، بشكل خاص، ثم اهتمامات السارد بمحيطه أثناء الإقامة و الترحال.

وحدتا الإقامة و الترحال هما اللتان تُنتجان لنا الكم العلمي و الفنّي المسرود في الوحدة، لذا توجد وحدات تتوفّر على عنصري الإقامة و التّرحال، ولكنّها خالية من أي مضمون سردي يُميّزُها ويُشكّلها، مايضطرنا إلى تجاوُزها عن طريق ضمّها لوحدة أخرى.من هنا سيكون اعتمادنا على وحدات سرديّة كبرى.

الرحلة تقوم على فعل السّفر كونه« بنية ناظمة للرحلة في تسلسلها الزمني و المكاني،ومسهم من جهةٍ أخرى في سبك مكوّنات الرحلة و خصائصها البنائيّة»[14] وطبيعة السّفر فيها ليست مبنيّة على العقدةِ، بقدر ما هي مبنيّة على الترحال الشّامل،الذي يكون فيه الانطلاق من نقطة البداية وصولاً إلى الهدف المراد،ثم العودة إلى نقطة الانطلاق،يصف الرحالة خلال ذلك كلّه ما تعرّض له من أحداث،وما رآه من غرائب المشاهدات.

أما تقطيع النصوص،أو تقسيمها فيكون –عادة – من قِبل المؤلّف حين يقصد إلى تقسيم عمله إلى أبواب و فصول و أقسام،وقد يكون ذلك التقسيم مبنيّاً على الزّمن من حيثُ نوعُه،أو انصرامُ جزءٍ منه كالمواسم وغيرها،كما يمكن أن يعتمد على المؤشّرات اللفظيّة،ويمكن أن يكون مبنيًّا على الموضوعات و الأفكار.

تشكل الرّحلةُ وحدةً شاملة، يشعُرُ القارئ أنّ الكلّ متلاحم متَآزرٌ فيها، يَعمد السّارد إلى نقلِ واقِعٍ تفاعل معه ونقله إلى العالم اللغوي لإيصاله للآخرين، لذلك تبدأُ الرّحلات بِمُقدّمات، ثمّ يُشرعُ في سرد أحداث السّفر، وهنا تبرُزُ المسَافة بين الإنجاز الفعلي و زمن التّذكّر و الكتابة، وقد يُبالغ السّارد(المؤلّف) في إخفاء هذه المسافة، ولكنّها سمةٌ تتعلّق بالسيرة الذاتيّة القائمة على الاسترجاع، ومن خلال ما يَسْرِدُه السّارد يتبيّن لنا أنّ الرّحلة ذات مستوَيَيْن:مستوى متعلّق بالذات فيما تفعَلُه أو تقوله أو تعتقدهُ،باعتبار هذه الذات شخصيّة تحملُ مؤشّرات مُعيّنة، ومستوى آخر يتعلّقُ بتاريخ المكان الذي يتحوّل باستمرار إلى مشروع سردي، يتمّ فيه الحفر على أفعال الإنسان المتراكمة عبر الأزمان، فإذا

الرّحال و الأحداث و الأقوال، تُستعرضُ أمام القارئ، عن طريق الحكي المباشر للسارد، أو عن طريق رواةٍ آخرين، أو قراءةُ المكتوبِ المتوارث[15].

من هنا كان للباحث أن يُجزّئَ العمل الأدبيَّ المدروس لإدراكِ عناصره الأساسيّة و الفرعيّة، على أن لا يَشترطَ أن تكون الأجزاء ثابتة كما في الحكاية الشّفويّة،وإنّما يُمكن تسمية كلّ عنصر بما يناسبهُ اعتمادا على العلاقات الداخليّة التي تربطه.وهنا سيكون تقسيمي للرحلة الناصرية إلى وحدات وفق الترتيب الزمني لإنجازها، انطلاقا من مرحلة الذهاب وصولا إلى منطقة الأغواط ثم بسكرة. و بالتالي سيتمّ تقسيم البنية السردية في الرّحلة الناصريّة إلى متواليات كبرى تشتمل على عدّة وحدات، وكل وحدة كبرى تشتمل على وحدات صغرى،ووحدات أصغر لتسهيل دراسة هذا العمل.

يبتدئ أحمد بن ناصر الدرعي رحلتَه بمقدّمة وفيه:

الاستعداد للسفر	مرحلة الذهاب	الدخول إلى سجلماسة	من سجلماسة إلى بسكرة.	النزول ببسكرة والخروج منها
الحمدلة. ذكر فضائل الحج و العمرة. الاشتياق و الاستعداد للحج عام1119هـ/1120هـ، ومنع السلطان لهم. الاستخارة والإكثار منها. موافقة السلطان على سفرهم للحج عام1121هـ ذكر ابتداء التهيؤ للمسير ورفع العوادي و الموانع في الأمر اليسير. موقف صاحب الرحلة من شعر التوسل.	الخروج من البلد ومفارقة الأهل والإخوان. أ/ وصف موقف وداع الأحبّة، زيارة قبور الصالحين. ب/ عاداتهم في النزول بوادي حجيج، نزولهم بالعطشانة و استقبال وإكرام أهلها لهم. الدخول إلى سجلماسة. أ/ ملاقاة شيُوخِها وزيارة أوليائها. ب/ قصيدة لسيدي أحمد الهشتوكي في مدح أهل سجلماسة من أحدى عشرة بيتا.	الدخول إلى سجلماسة. أ/ ملاقاة شيُوخِها وزيارة أوليائها. ب/ قصيدة لسيدي أحمد الهشتوكي في مدح أهل سجلماسة من أحدى عشرة بيتا. ج/ مدحه ونقله عن كتاب الأذكار للميدوني. د/ قصيدة لعبد المالك التَّجْمُعتي في مدح والد الناصري في واحدٍ وستين بيتا. هـ/ قصيدة لسيدي أحمد بن عبد الكريم في مدح المؤلّف ووالده في مائة بيت. الطريق من سجلماسة إلى بسكرة. أ/ نسخ كتابَي (دلائل الخيرات) و (تنبيه الأنام)	الطريق من سجلماسة إلى بسكرة. أ/ نسخ كتابَي (دلائل الخيرات) و (تنبيه الأنام) للتكوني الفجيجي. ب/ اكتراء سيدي محمد المختار يهديهم الطريق. ج/ نزولهم أبا سمغون واستقبال أهلها لهم،سبب تسميتها،طيبة مائها. النزول بعين ماضي. أ/ علم أهلها،وتسلط مولاهم عبد الملك. ب/ انتقادهم لسلوك نسائها ونصحه لهم. ج/ مكانة مسجد ميسره وإنكار أهل عين ماضي لزيارته. د/ نزولهم بالأغواط.استقبال أهلها لهم.ذكر فقهائها،وصفها.	النزول ببسكرة. أ/ دخول مسجدها،وصف مئذنتها. ب/ قول العياشي في بسكرة. ج/ زيارة أوليائها. د/ التحسّر و التألم من فقد العلم وأهله،وبداية الخراب فيها. هـ/ نقل من كتاب الاستبصار من أخبار الأمصار. الخروج من بسكرة. أ/ نزولهم بسيدي عقبة. ب/ تاريخ فتح عقبة لأفريقية ونقل ملخص كتاب خالد بن الوليد. ج/ زيارة قبر عقبة بن نافع، وذكر ما قيل في مئذنة مسجده، ونفي العياشي لهذا القول. د/ قبة حسن الكوفي وما قيل فيها.

	ج/ مدحه ونقله عن كتاب الأذكار للميدوني. د/ قصيدة لعبد المالك التَّجْمُعتي في مدح والد الناصري في واحدٍ وستين بيتا	للتكوني الفجيجي. ب/ اكتراء سيدي محمد المختار يهديهم الطريق. ج/ نزولهم أبا سمغون واستقبال أهلها لهم، سبب تسميتها، طيبة مائها.	هـ/ العسّافة، دمت، البرج، واستقبال أهلها لهم. بلوغهم سيدي خالد. أ/ خداع الأعراب لهم. ب/ قول العياشي للقبر المنسوب لنبي الله خالد بن سنان.	

وتتواصل البنى السرديّة للرحلة، بين وحدات كبرى وصغرى و أصغر. إلى أن تصل إلى نهايتها، وسنكتفي هنا بذكر هذه الوحدات، لنبيّن بعد ذلك الاستراتيجية التي تم بها سرد كل تلك الأحداث.

2. إستراتيجية السّارد:

إنّ السارد في الأعمال الأدبيّة هو المرسل للكلام يتعين بنفسه دون وسيط آخر، هو موكول بعمليه الأخبار وإيصال الحكاية بأحداثها انطلاقا من وضعيات مختلفة[16] فلا يمكن للحكي أن يصل إلى القارئ إلا عبر السرد الذي يتكفل به السارد.

والسارد في الرحلات «شخصيه حكائية موجودة داخل الحكي»[17] فهو مساو للشخصيات لأنه يشارك في الأحداث فهو الفاعل والمنجز، ومن هنا كان وجوده مسألة ضرورية في الرحلة كي تصل إلينا. «ويمكن أن نسجل في الرحلة بشكل عام تماهيا ببين الرحالة والسارد و الكاتب والشخصية المركزية. وقد لخص أوديل غاني العلاقة التي تحكم الرحالة مع مختلف الفاعلين في فعل الرحلة وفعل التنفيذ قائلا: يعد الكاتب (الرحالة) منتجا للمحكي الرحلة، منظما للسرد مبئرا نحو الشخصية إنه سارد وممثل ومجرب وموضوع تجربة.»[18] و سارد الرحلة يهتم أساسا بفعل التنقل-فهي البنية المسيطرة على الرحلة ككل- يدفعه في هذا محركات.

3. المسرود له:

يفترض السرد بالضرورة وجود سارد ومسرود له، فإن كان السارد هو المرسل للكلام، فالمسرود له هو المرسل إليه فهو «من عناصر الوضع السردي ويقع بالضرورة على المستوى القصصي نفسه؛ أي أنه لا يلتبس قبليا بالقارئ (ولو ضمني) أكثر مما يلتبس السارد

بالمؤلف، والسارد داخل القصة مسرود له داخل القصة.»[19] ويكون السرد مبطن بنداء إلى المرسل إليه وإن لم يتعين فالمسرود له، يكون ظاهرا وخفيا.[20] والمسرود له في الرحلة « يتموقع داخل النص أحيانا أو خارجه أحيانا أخرى كائنا من لحم و دم، أو كائنا من ورق تجسده قضيه ما، أو موقفا فكريا محددا، ملفوظا صادرا عن اسم علم واقعي أو ملفوظا محتملا.»[21]

وقد ينقلب السارد في الرحلة إلى مسرود له، وهذا على مستوى الحوارات، فعندما يلتقي الرحال بشيوخه ويسمع إليهم ويأخذ العلم من عندهم أو حتى من عامة الناس فيشير إلى ذلك بصيغ متعددة مثل "أنشدني" "قال لي"، "حدثني"، ومن هنا نستطيع أن نقول إن السارد و المسرود له قد يتبدلان المواقع والفرق بينهما أن السارد ظاهر من أول الرحلة إلى آخرها أما المسرود له فمتغير يستحضره السارد ليؤدي دورا ثم يختفي.[22]

4. وظائف السارد:

ونعني بها الأدوار الأخرى التي يتحملها السارد غير دوره في السرد بمعنى القيام بفعل الحكي، فمن المعروف بأن الخطاب السردي ينهض بوظائف أخرى «منها ما يتعلق بالخطاب نفسه، ومنها ما يمارسه السارد على نفسه من توجيه وكلها ذات علاقة بوظائف اللغة كما حددها ياكوبسن.»[23]، ونرصد في هذا المقطع الذي ننوي دراسته من الرّحلة عدّة وظائف وهي: (وظيفة التواصل والإبلاغ - الوظيفة الاستشهاديّة – التنسيقية – السرديّة – الانتباهية – والوظيفة الإيديولوجية التعليقية) ونظرا لكثرة هذه الوظائف سنحلل الأهم منها، وهي: التنسيقية - وظيفة التواصل والإبلاغ – الوظيفة السرديّة، وسنشير إلى بقية الوظائف إشارة طفيفة، حتى يدرك المتلقي معناها.

1.5. الوظيفة السردية:

هاته الوظيفة لا يمكن للسارد أن يحيد عنها وإلا فقد صفته كسارد، ويقتضي هذا سرد الأحداث وعرضها، فالرّحال ترجم لنا رحلته كفعل وقع في ما مضى وما تخلّلها من أحداث واصفا وعارضا تارة و محاورا تارة أخرى مما أنتج عنه «خطاب لغوي محكوم بصيغ زمنية معينة»[24]، فلو افترضنا أن أحد الرحالين قرر أن لا يروي رحلته فإن ما ندعوه رحلة ينعدم أصلا.

وهذه الوظيفة معقدة تقتضي نقل المشاهدات والأحداث والتنسيق فيما بينها بما يناسب الخطاب فيقدم ويؤخر السارد فيبرز شخصيات لتخدم مواقف في الحكي و يخفي أخرى وهو في كل ذلك يتجنب الفجوات الزمنية وانفكاك السرد وسوء التأليف.

وفي الرحلة الناصرية نجد السارد على دراية بالهدف الاستراتيجي معلنا عليه منذ البداية، ألا وهو الخروج للحج فالناصري مدرك لما هو مقدم عليه، وهو-الرحالة- ففي ظل انتقاله من مكان إلى أخر يرصد لنا ما صادفه من مرئيات سواء أكان عمران، مثل المدن والقرى التي تنبض بالحياة أو أثار مهجورة خلت منها الحياة، وتحويل ذلك كله إلى محكيات متناسقة مع غيرها من الأخبار و الأقوال الذاتية والغيرية والظواهر الاجتماعية والثقافية والعلمية والطبيعية، بحيث تتلاحم تلاحما عضويا، وهذا ما نلمحه عند دخوله قرية أولاد جلال يقول: «وتلقانا أحبتنا سيدي محمد بن الحاج، وسيدي عبد الباقي وسيدي محمد بن عيسى، وسيدي محمد السعيد، وسارو معنا ميلا وودعناهم. وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب، وهي جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين، وهم يسمون: الغرباء مهاجرين، وهم في قوة ومنعة من العرب، لا يؤدون إتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمهاجرين، وقد صدقوا في ذلك.»[25] وعندما وصل بسكرة و دخلها قال بأنّ : «هذه المدينة من أعجب المدن، وأجمعها لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران فيها. قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثيرة، وزرع كثيف، وزيتون ناعم، وكتان جيد وماء جار في نواحيها، وأرْحَاءَ متعددة تطحن بالماء. ومزارع حناء، إلى غير ذلك من الفواكه، والخضر، والبقول، وكثرة اللحم والسمن في أسواقها.»[26] ثم يستطرد في ذكر تاريخ هذه المنطقة وما ذكره أستاذه العياشي فيها وما حل بها من تحالف الترك وعساكر العرب، معرجا بعدها على الوباء الذي خلف حوالي سبعين الف نفس. ذاكرا شيوخها وما تجري عليهم من كرامات واصفا ومفسرا .

و بعد ذلك الوصف الدقيق لما وقعت عليه عيناه ورسخ في مخيلته لمدينة بسكرة، ينتقل إلى وصف مدينة الأغواط، فيصفها قائلا بأنّها: «بلدة واسعة، ذات الأراضي الواسعة بها محاريب كثيرة، وفواكه متنوعة، غير أنها كثيرة الرياح والرمال»[27] يبدو من هذه المقاطع السردية حسن السبك والانسجام، فلا نحس بانقطاع في الأفكار أو تفكك فيها، وهذه الوظيفة لا تأخذ شكلها النهائي إلا بعد إنجاز الفعل المكتوب، أي ترجمة الرحلة التّي هي

حركة وانتفال إلى عمل أدبي بكل معنى الكلمة، فالسارد في تنظيمه للسرد، يستعمل التقديم والتأخير مبرزا حدثا على حدث أخر ، و التداعي....إلخ ، وهذا وفق ما تقتضيه صنعة التأليف.

2.5. الوظيفة التنسيقية:

الوظيفة التّنسيقية، وتسمى التنظيمية أيضا ، وتعنى بالخطاب وهي تكمل الوظيفة الأولى - السردية- وذلك « بلجوء السّارد إلى التنظيم الداخلي للخطاب ،مهما بدا مشتتا ،انطلاقا من الربط بين الجمل والأجزاء ، والتذكير بالأحداث وخلق إشراقات للدهشة والإثارة... »[28] و متن الرحلات فضفاضة ومتنوعة إلى درجة التناقض والاختلاف، والسارد هو الوحيد الذي يجب عليه أن يراعي التنسيق في جمع المادة، و تنظيمها و أن يؤلف بين هذا الكم الضّخم من الأقوال والأفعال و الأماكن والشخصيات و الوصف والحوار والنقل...إلخ . فيعتمد في هذا على الخصائص الزمانية و المكانية تارة والموضوعية والمنطقية تارة أخرى حتى يصل إلى عمل متكامل البناء .

وتظهر الوظيفة التنسيقية في اعتماد سارد الرحلة الناصرية على التقنيات الخاصة، بالتنسيق فالناصري على دراية بها فحينما يريد التفصيل يستعمل و"من ذلك"و "اعلم " و "فائدة"و "تنبيه"...وحينما يشعر أنه استطرد في الحديث يستعمل صيغة "فلنرجع" كقوله: «فلنرجع إلى ذكر مراحلنا وحيث انتهى سيرنا.»[29]

ومن التنسيق الذي يعنى به السارد، حسن الربط بين الوحدات بإيجاز ما مضى والإشارة إلى ما سيأتي، ونلمح هذا في قوله عند خروجه من بسكرة:« ثم لما فرغ الناس من قضاء أوطارهم: من بيع وشراء، وازدياد زادٍ. ظعنَّا ضحاء الثلاثاء خامس وعشرين من رجب عشرين من شتنبر. نزلنا سيدي عقبة.»[30] لينطلق السارد بعدها في ذكر تاريخ مفصل لهاته المنطقة وسرد تاريخ فتح عقبة لأفريقية و دخول أهلها للإسلام وما وقع فيها من حروب.

و يظهر حسن التنسيق لدى السارد في تعدد صيغ الربط من حيث الإيجاز و الإطناب ومن حيث العناصر الزمنية المذكورة والمسافات المقطوعة و المنتظرة ونلمحه كذلك في قوله: «نزلنا سيدي خالد اصفرار يوم الأربعاء، عشرين من رجب أربعة عشرة من شتنبر، وسلم الله، والحمد الله، الركب في هذه المسافة، لم يروا كيدا ولا عطشا، هم ودوابهم، مع قلة الماء؛ ذلك من فضل الله علينا، ونسال الله تعالى كما أحسن فيما مضى،

أن يحسن فيما بقى. »[31] . ليسترسل السارد قائل ا: «وعولنا على زيارة نبي الله سيدي خالد بن سنان صبحا، ثم أن أعرابا هناك غدروا بعدما أعطوا مواعيد ومواثيق أن لا يؤذوا أحد من أهل الركب....فمنعنا ذلك من إتيان ضريح سيدي خالد. وسرنا والركب جميعا حتى وازيناه وسامتناه. وتوجهنا إليه وزناه، فالله يتقبل. فإن رجعنا –إن شاء الله وقُدِّر – وقفنا على ضريحة. »[32] فهذا المقطع السردي يوضح حسن استعمال السارد خاصية التنظيم الزماني وبخاصة من حيث الترتيب في عنصري الاسترجاع و الاستباق.

ومن مظاهر التنسيق الحذف والاختصار الذي لا يخلو منهما أي نص سردي والسارد وظفهما كلما اقتضت الحاجة إليهما خاصة في طريق عودته ونعطي بعض الإشارات، يقول: «ونزلنا بسكرة النخل قبل زوال الأربعاء الخامس عشر من رجب الموفى ثلاثين من غشت بنحو عشرة أدراج ووجدنا الوادي سائلا وخضناه بمحل صعب ولكن الله سلم. وأقمنا به الخميس والجمعة ليهيئ الناس محتاجتهم من الزاد. ثم ظعنا منه يوم السبت.. عصر السبت...»[33]:"

ومن مظاهر التنسيق الجيد لدى الناصري احتفاظه بالذكريات التي عاشها في رحلته السابقة للحج وتوظيفها في حجته هذه، وهذا عن طريق التداعي فيقول عند دخوله بسكرة: « والحجة قبل هذه، سنة تسع ومائة وألف، دخلناها وزرنا مسجدها، وطلعنا إلى مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة الصعود إليها بحملها، وأدرجها مائة وأربع وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء.»[34] فهذا المقطع السردي يتضح دقة ملاحظة السارد وحسن التنسيق، فليس من السهل استذكار الماضي وحسن توظيفه في سياق جديد.

ويتجلى التنسيق كذلك فيما ينقله عن الكتب التي اطلع عليها مما يناسب المكان، أو الموضوعات التي هو بصددها، سواء منها ما قرأه على الشيوخ أو ما طالعه، حتى أنه يصعب التفريق بين كلامه وكلام غيره، إلا أنه ينص عليه، كنقله عند كتاب" الاستبصار في أخبار الأمصار " في ثمار بسكرة: «حوالها بساتين كثيرة وفيها غابة كبيرة، مقدار ستة أميال، فيها أجناس الثمار منها: جنس يعرف باكنبا وهو الصيحاني، يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف بالبازي، أبيض أملس، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه ما هناك منه إليه، وأجناس كثيرة يطول ذكرها... »[35] كما أنه يستشهدا كثيرا بما أورده

أستاذه العياشي، فقال عندما انتهى من نقل لنا ما ذكره العياشي في تاريخ منطقة بسكرة و مزارة سيدي محمد بن أبي علي «انتهى كلامه، ونقلته على طوله لحسنه في بابه. »[36] ونجد الناصري حينما ينقل كتبا أو نصوصا له أو لغيره، يستهلها بـ و"ونصه "و"قوله" ،أما الشعر فيقول "قال فلان" و" انشدني"....إلخ. و نلمح كذلك برعاته في تنسيق المعلومات والمعارف التي يوظفها بما يخدم خطابه السردي، مثل توظيفه للتاريخ والفقه، وغيرهما التي يجدها السارد تفيد المتلقي.

فالناصري مدرك لهذه الوظيفة، مجيدٌ لها وهذا ما لمسناه في رحلته فلا نكاد نحس بفجوات في سرده.

3.5. الوظيفة الاستشهادية:

وتسمى التصريحية الاقرارية وتتعلق هذه الوظيفة بتوثيق العمل الأدبي سواء تعلق الأمر بالمصادر أو المشاهدات أو الذاكرة إنها وظيفة "البينة أو الشهادة"[37].

والرحلة في مجملها عمل توثيقي، بحيث تبلغ هذه الوظيفة درجة عالية، وتقوم على علاقة سارد الرحلة برحلته من حيث منابع التي يستقي منها، و الخبرة المتراكمة لديه، كما تبين الأحاسيس التي تثيرها حادثه ما في نفسه، فالسارد يوثق معلوماته وبخاصه فيما يتعلق بالحديث الشريف أو القصائد الشعرية أو بعض الأحداث التاريخية، ويمكن استخلاص أشكال ورود هذه الوظيفة في الرحلة من خلال وسائل التوثيق، و البينة أهمها الكتب و المشافهات، الذاكرة، المشاهدات البصرية.

ففي الرحلة الناصرية نجد الناصري قد نقل لنا مشاهداته وكل ما علق في ذهنه من مناظر سواء أكان من مراحل الطريق أو مشاهداته للمدن و مصادر المياه و المزارات المتعددة التي لا يغفلها السارد حيث ما حل، معتمدا في هذا على المشاهدة المباشرة. فالسارد يذكر أسماء الأماكن التي تطؤها قدماه، باحثا عن مواطن مائها، مستحضرا طريقة استقبال أهلها و شيوخها لهم، موضحا كرمهم، داعيا لهم جزاء عملهم معرجا على ما لفت انتباهه فيها. فيقول: «نزلنا الأغواط عصرا... وخرج أهلهم كلهم كبارا وصغارا، وأظهروا الفرح والسرور ، والمحبة والحبور، وسيدي محمد بن أحمد بن يحي، وسيدي أحمد بن محمد بن أبي زيان بلغونا بتجموت –هما من أصحابنا –ووالدهما من أصحاب والدنا»[38] ويمضي في الحديث عن بقية من لقيهم وكيف استقبلوه.

4.5. وظيفة التواصل والابلاغ:

وتعبّر هذه الوظيفة عما يريد المرسل إيصاله إلى المرسل إليه، فهي تعتمد على إثبات التواصل مع المسرود له، هي تُعدّ من الوظائف الأساسية . وفي الرحلة تتجلى هذه الوظيفة في تقديم الرحلة ككل ،فكل الرحل إبلاغ عن ما لقاه الرحال في رحلته، والسارد في الرحلات يشير في أكثر من موقع إلى أنه يريد أن يفيد القارئ بما يقدمه من أخبار و موضوعات أدبية وفقهية وقيم فكرية و اجتماعية وغيرها.

كما نجد في هذه الرحلة، السارد يشير إلى الأوضاع القائمة التي لفتت انتباهه أثناء سيره إلى البقاع المقدسة، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو علمية، قاصدا إفادة المتلقي وتوجيهه. فالسارد طيلة طريق سيره في منطقة الجزائر ذهابًا و إيابًا يتحدث عن حفاوة استقبال أهلها لموكب الحجيج وكرمهم، وهذه بعض الإشارات يقول : «ونزلنا تجموت ظهرا، وتلقانا أهلها أفواجا: كبارا وصغارا، مشاة وركبانا، وفرحوا بنا غاية الفرح، وأظهروا المحبة. وخرج إمامهم سيدي أحمد بن بركة، رجل كبير السن. وأتونا بثلاثة أكباش، وأتى رجل آخر بكبش، وقسمنا ذلك.»[39] ويتحدث عن كرم أهل الكراكدة والغاسول، يقول: «وبلغنا الكراكدة ضحى، وروت الإبل والهائم، وخرج أهلها وفرحوا بنا غاية الفرح،. وأتو بتين وعنب وسمن وشاة، وأعطينا ذلك كله لمن يستحقه. وسرنا، وبلغنا الغاسول...وفرح بنا أهلها الفرح التام، أتونا بشاتين، وسيدي عبد الكريم التواتي بتسع شياه، وما قسم الله من السمن.وقسمنا ذلك كله للحجاج، تقبل الله ذلك من أربابه.»[40] فالناصري أينما حل يستقبله الناس أفواجا أفواجا مرحبين ومضيفين، يخرج له أعيان البلدة وعلماؤها، و هذا خير دليل على مكانته العالية في المنطقة. وما يدل على كرم أهلها ونبل شخصيتهم، فقد جلس الشيخ محمد بن منصور بسيدي عقبة نحوا من نصف شهر ينتظر الركب.[41]

ومن المواضيع التي أثارها السارد طرحه لموضوع الأدلاء في الطريق مقابل مبلغ من المال، فيقول: «اكتريت رجلا من أبي سمغون يهدينا الطريق إلى الأغواط بمثقالين، اسمه: سيدي محمد المختار، وهو طالب يحفظ القرآن، وجال في البلدان،دخل تلمسان والجزائر وحضر وقعة وهران، وسكن بفاس خمس سنين، ودخل مراكش وتردانت وتادلا.»[42] .

وقد يتعرض السارد بين الفينة والأخرى، إلى أصل تسمية بعض المناطق من أجل إفادة المتلقي كقوله: نزلنا أبا سمغون...وسميت باسم ربها النازل بها أولا وهو : الولي الصالح

سيدي أبو سمغون. وقد دفن وسطها، نفعنا الله به، آمين. »[43] أما عن منطقة المنصف يقول: «وسمي بالمنصف لأنه نصف الطريق بين الزرايب وسيدي عقبة.»[44]

ومن الجوانب التي أولاها السارد أهمية بالغة، وحرص على تبليغها لقرائه هو الجانب العلمي، فقد حرص الناصري أن يفيد القارئ بتقديمه لبعض الكتب مما رآهُ ذا قيمة، وبعض التلخيصات و تراجم لمن لقيهم من الشيوخ والعلماء، إضافة إلى بعض الجوانب التاريخية. فمما ذكره السارد أثناء عبوره منطقة عين الماضي «وأهلها كلهم طلبة علم يقرؤون خليلا»[45] فالسارد أول ما لفت انتباهه في منطقة عين ماضي، هو الزاد العلمي لهذه المنطقة، ليبلغنا السارد بعدها بشغف أهل المنطقة بالعلم وأهله ففي «حجته عام ستة وتسعين طلبوا منا أن نترك لهم نسخة الغنيمة لوالدنا، لينسخوها. فتركناها لتعم الفائدة، والله يصلح النيات بمنه وكرمه. »[46] كما ذكر السارد مسالة تاريخية هامة، وهي تعرُّض هاته المنطقة إلى الغزو، يقول «إلا أنهم سلط الله عليهم مولاي عبد الملك، ومزق أعراضهم ، وكسر عليهم الهيبة ، وأخذ خزائن الأعراب وسط ديارهم، زرعا وسمنا وثمرا، وأخذ عنهم ألف ريال، ولم يترك لهم شيئا. وكانوا قبلُ موقرين ولم يألفوا ذلك وكبر ذلك عليهم، وصبّرناهم وصبروا ورضَوا بالقضاء.»[47]

عندما وصل «خلوة ولي الله أبي زيد، سيدي عبد الرحمان الأخضري، لقصد التبرك به . وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن، له تآليف مشهورة، وكرامات مأثورة. وأشهر تأليفه المنظومة في المنطق المسماة بالسّلّم المرونق، وقد نفع الله بها . وله منظومة في السلوك، تشابه المباحث الأصلية رائقة النظم، فائقة الحسن، حلوة سلسة، وله شرح السّلّم، ومقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد . وبيتهم بيت علم وصلاح.

5.5. وظيفة الإنتباهيه:

تقترب هذه الوظيفة من الوظيفة التبليغية، حيث أنَّ كليهما موجهان للمتلقي (المرسل اليه)،أما الفرق فيكمن أنّ الوظيفة التبلغية تقف عند المغزى (المعنى العام)، أما الانتباهية فتقف عند الخطاب الموجه[48]،فيهما التأثير في المرسل إليه والسارد في هذا يقوم بعملية اختبار اتصال بينه وبين المرسل إليه.[49]

وفي الرحلة الناصرية نجد هذه الوظيفة تظهر في صيغ "تنبيه"، "غريبة"، "لطيفة"، "أعجوبه"، "نادرة"، "انعطاف"....إلخ هذه الصيغ تقوم مقام النداء والتنبيه، وقد أطلق

عليها سعيد يقطين بـ"مناصات" وتدل على نوع النصوص، تأتي دائما في قالب سردي أو تقريري، وتمهد لكلام خاص تسمى بصيغ الأداء[50]

ويستعمل الناصري هذه الصيغ عندما يريد الاستطراد في الحديث عن شيء ما يراه مهما للمتلقي، فينبهه لها بمثل قوله: «**تنبيه:** موقف العلماء من شرب القهوة، أكثر العلماء مائلون، في القهوة إلى الإباحة وترشح قولهم بفعل أكثر الصوفية، مع تورعهم في المطاعم و المشارب، زاعمين أنها تعين على السهر في العبادة، ويستعين بها الطلبة كثيرا في المطالعة الليلية... »[51]،فكأنما السارد يريد مناقشة مع قارئه المتوقع موقف العلماء من شرب القهوة، واختلاف الآراء في الإباحة والتحريم، وما إلى ذلك. ومن الصيغ التي يستعملها السارد صيغة "نكتة" لتدل على مسألة دقيقة أخرجت بعد نظر وفكر، ففي طريقه في منطقة المقسم يلتقي الشيخ بمن أذن له في تلقين الأوراد نيابة عنه، لكنه ظلّ وأظلَّ وزل وأزل فنصحه لكنه رد النصيحة فعزله عن ذلك، واسترسل في ذكر "الإذن في التصوف "قائلا : «**نكته** إعلم أخي، إن الإذن عند أرباب السلوك أهل الشريعة والحقيقة من سادات الطريقة، نور ينقدح في قلب الأذن، فينبسط على قلب المأذون، بواسطة أو بدونها، فيتعين الوقوف عند حده على الطرفين،...وطريقة أشياخنا على هذا، المحفوفة بالكتاب والسنة، المحفوظة من الله تعالى بما حفظنا به، فلذلك من تعرض لها بسوء أو كادها بشيء، أو سعى في تبديلها وتحريفها وإخراجها عن نهجها، من الأفق كاده الله وأذابه كما يذاب الملح في الماء، وأعمى أثره وأبتره وأقطع دابره، واللهُ لا يُصلح عمل المفسدين، وربما ختم له بسوء عياذا بالله.»[52]

وقد يكون توجيها مباشرا لقارئه، كما قال عندما وصل مفازة سيدي خالد. «وهي أرض وعرة حرشة معطشة مخوفة تيهاء. وصح عند الحجيج، أنها لا يسلكها ركب إلا ويضيع فيها حي آدمي أو غيره، وكانت تقول لا بد أن تأخذ هذه المفازة شاتها، والأمر بيد الله تعالى، لا تأثير لشيء من الكائنات في أمر ما وإياك من أن تنسب التأثير لغير الله فتهوى في مهواة لا قعر لها»[53].فهذه الاشارات التنبيهية مبثوثة في النص الرحلي يهدف منها السّارد إلى توجيه المتلقي والتأثير فيه.

6.5. الوظيفة الايدلوجية التعليقية:

وتتعلق هذه الوظيفة بالسارد، وتظهر حينما يصدر تعليقاته، أو يعبر عن رأيه أو يفصح عن مشاعره وأحاسيسه أو عن موقفه من قضية أو شخص ما، فالسارد في الرحلة يتخذ موضع المشارك في سرده، و يتماهى مع الشخصية الأساسية، بهذا تتاح له الفرصة أن يتحدث من الداخل أو الخارج.

أورد السارد بعض الملامح الاجتماعية والثقافية والدينية التي أثارت انتباهه في خط سيره في الجزائر، مستهجنا تارة ومادحا تارة أخرى، ومما قاله عن أهل عين ماضي مادحا: «كلهم طلبة علم يقرؤون خليلا...وهم خلصاء النية فينا وفي غيرنا...عاكفون على قراءة الفقه، ويعظّم صغيرُهم كبيرَهم، وكلُّهم تفرعوا عن أصل واحد، لا حسد بينهم ولا تباغض-فيما يبدو لنا-.»[54] غير أنه يستهجن كثيرا ما وجده في عادات نسائهم، في حجته الفارطة يقول: «نساؤهم سارحات كالهائم، كدأب نساء هذه النواحي...لا يبالون بالحجاب. ترى نساءَهم الشواب تبيع وتشتري مع الحجيج غير، مستترات.»[55] وحجتهم في ذلك أنهم عرب وأهل بوادي، لا بد لهم من ذلك لقلة ما بأيديهم.[56] و يتعجب أكثر من عاداتهم فيقول : «وأكبر من ذلك: أن نساءهم لا تغتسلن من جنابة ولا من حيض ولا نفاس،.... ولمناهم فاستعذروا بأن ذلك يضربهن في أرحامهن؛ على أن جماعة ممن يوثق به من أصحابنا قالوا : رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط الساقية الجارية بماء بارد»[57] فيعلق على ذلك قائلا :«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. نسأله سبحانه أن يهدينا وإياهم الصراط المستقيم .»[58] ولكن السارد لم يكتفِ بالوصف والتعليق بل يتعدى إلى الإصلاح والإرشاد، يقول: «وكلمتهم وزجرتهم ...وأما هذه الحجة فما رأينا لهم امرأة تتعاطى البيع مع الحاج بالركب. وقد كنا قدمنا لهم فخجلوا. »[59]

الخاتمة

الأدب الرحلي فيه من الزخم والتنوع ما يغري الباحثين ببحثه وسبر غوره، واستخراج ذخائره، فالرحلة تعكس لنا البيئة بمختلف صورها وأشكالها السياسية والثقافية والأدبية والعلمية بل وحتى الجغرافية، ويعد المغاربة أكثر من اهتم بالرحلة لعدة أسباب و دوافع لعل من أهمها الحج إلى بيت الله الحرام، وهم في أثناء تكبدهم لمشاق التنقل تستوقفهم عدة مظاهر اجتماعية أو دينية أو طبيعية في البلدان التي يسلكونها، فيصفونها بأسلوب رائع شيق ودقيق. ومن خلال بحثنا هذا تجلت لنا النقاط التالية:

-أن الرحلة حركة وانتقال وسفر من مكان إلى آخر ونشر للحياة في كل مكان، وكشفا لأسرارها مما يكسب الإنسان بشكل عام والرّحالة بشكل خاص خبرات جديدة تخدمه في حياته الفكرية والعملية.

- البنية السردية للرحلة الناصرية تشتمل على وحدات كبرى تتضمنها بُنى صغرى تنفتح وتنغلق بتفاعل السارد مع الأحداث والزمان والمكان.

- يأخذ السارد في الرحلة أبعاد ثلاث، فهو سارد وكاتب و شخصية مركزية تتماهى هذه الأبعاد فيما بينها لتسيطر على النص سيطرة تامة في السرد، وحتى حين يتحول السارد إلى مسرود له لا يتخلى عن الوظيفة السردية، ومجمل استراتيجيته تتمثل في إيصال المعرفة للمتلقي والمتعة الفنية للقارئ بشكل منسق يثير الانتباه، ويستعمل من التقنيات ما يُمِتن به الثقة بينه وبين قارئه المتوقع. وهو على دراية بما سيقدمه سابق ولاحق ويتصرف في النظام والترتيب بشكل محكم.

- يحرص السارد على إفادة قرائه بكل جديد ومفيد وغريب وعجيب، ويقدم ذلك مصحوبا بالتوجيه والتعليق على مختلف المظاهر الايجابية والسلبية بموضعية تنم عن رزانة الشخصية ورصانتها.

- مذاق الرحلة الناصرية يكمن فيما يروى مباشرة عن طريق المشاهدة البصرية للوقائع والأحداث بالإضافة إلى ما يدلي به السارد من ترشيد وتحليل للوقائع والمقروءات مما يعكس رأيه في الأشخاص والأماكن.

- لقد استطاعت هذه الرحلة أن تنقل لنا بعض من صور الحياة في المجتمع الجزائري، من خلال ما تضمنته من إشارات وملاحظات ومعلومات أفادتنا كثيرا في معرفة تاريخ وأخبار المنطقة ومواطن العلم في ذلك العصر، ناهيك عن العادات والتقاليد. فقد بدت الحياة في هذا العصر من خلال النص الرحلي بسيطة في هذه المجتمعات، وقد اكتسى بعض من أعيان الجزائر السند الصوفي الناصري الذي وكلّ لهم من طرف المؤلف ووالده، مما يوحي لنا بنشر الطرق الصوفية فيها.

جامعة الوادي: derki-safa@univ-eloued.dz ♣

10- أبوالعباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، تح/عبد الحفيظ ملوكي، ط/1، 2011، دار السّويدي للنشر و التوزيع، أبوظبي، ص16.

12- يُنظر مقدمة المحقق، الرحلة الناصرية،ص2.16

13- يُنظر مقدمة المحقق، الرحلة الناصرية،ص3.16

14- عبد الرحيم بنجادة، الرحلة و الغيرية، مطبعة النجاح الجديدة،ط/1، 2008ص08 [4]

15- عبد الرحيم مودن، أدبية الرحلة ،ص5.05

16- أحمد بوغلا، الرحلة الأندلسيّة الأنواع و الخصائص،19. 6

17- زهيرة بنيني، بنية الخطاب الرّوائي عند غادة السمان،مقاربة بنيوية، مخطوط أطروحة دكتوراه، 7 ،ص233

18- يُنظر إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم،مخطوط أطروحة دكتوراه، ، جامعة 8 باتنة،ص37

19- أحمد أبو غلا ،الرحلة الأندلسية الأنواع و الخصائص،ص18. 9

20- زهيرة بنيني، بنية الخطاب الرّوائي عند غادة السمان،مقاربة بنيوية، ص233[10]

21- إسماعيل زردومي فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، ،ص38

22- يُنظر،تر/نخلة فريفر،مجلة العرب و الفكر العالمي،عدد/19،5ص24.

23- يُنظر المرجع السّابق، ص24.

24- عبد الرحيم مودن، مستويات السرد في الرحلة المغربية،ص106.

25- إسماعيل زردومي فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، ،ص38

26- ينظر، فن الرحلة في الأدب المغربي، أطروحة دكتوراه، إعداد: إسماعيل زردومي، ص435.

27- بنيه النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ص49.

28- الرحلة الأندلسية الأنواع و الخصائص، أحمد بوغلا، ص 181.

29- خطاب الحكاية -بحث في المنهج-، جيرار جنيت، ص268.

30- ينظر، مستويات السرد، عبد الرحيم مودن، ص182.

31- أدبيه الرحلة، عبد الرحيم مودن، ص39.

32- ينظر فن الرحله في الأدب المغربي القديم، رساله دكتوراه دوله،اعداد الطالب إسماعيل زردومي ص:438

33- المرجع نفسه ص:438

34- المرجع نفسه ص:439

35- الرّحلة النّاصريّة: ص 43

36- المرجع نفسه: ص 44

37- الرحلة النّاصريّة: ص 39

38- الرحلة التجانية: ص75. [28]

39- المرجع السابق: ص185

40- المرجع السّابق ص:50

41- الرحلة النّاصرية :ص 31.40

42- المرجع نفسه: ص 40[32]

43- المرجع نفسه: ص 43.[33]

44- الرحلة الناصرية: ص 43.[34]

45- المرجع نفسه: ص 48 .[35]

46- المرجع نفسه: ص 46.

47- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص:265

48- الرحلة النّاصرية: ص 38.

58- الرحلة النّاصريّة: ص 38.

59- الرّحلة النّاصريّة: ص 36.

60- ينظر المرجع نفسه: ص 517.

61- المرجع نفسه:ص 36.

62- الرحلة الناصرية: ص 35.

63- المرجع نفسه: ص 60.

64- نفسه: ص 37-38.

65- نفسه: ص 37.

66- نفسه: ص 37.

67- ينظر فن الرحلة في الأدب المغربي القديم،رسالة دكتوراه دوله،إعداد الطالب إسماعيل زردومي ص:461

68- ينظر مدخل في نظريه القصة،تحليلا وتطبيقا سمير المروزقي،جميل شاكر ص:109

69- ينظر سعيد يقطين ،الكلام والخبر ص:157-163

70- كتاب 'الرحلة الناصرية'لأبي عباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي ص:162

71- الرحلة الناصرية: ص 528-529.

72- نفسه: ص 39-40.

73- نفسه: ص 37

74- الرحلة الناصرية: ص 38

75- ينظر نفسه: ص 38.

76- نفسه: ص -37—38

77- نفسه: ص 38.

78- نفسه: ص 37.38.